

تعلمت وهامت بأوربا ، فأوربا عندها نبي معصوم : كل شيء فيها خير من كل شيء في غيرها ، وهذه الذي تغفل عن الأديان حتى يخيل إليك أنها لم تسمع قط بمكة وبيت المقدس وطور سيناء - هذه الوثنية في عالم الدين تراها في عالم الأزياء فتعلم لأول وهلة أنها لا تغفل لحظة واحدة عن وحي باريس ومناسك الأزياء في العالم الأوربي بأسره ، لأنها تتحرج من وضع شريط في غير موضعه أو لبس زي في غير مواعده تحرج الزاهد الصالح من ذنب ينفيه عن رحمة الله ويخلده في جحيم عذابه .

وكان صاحبها همام على نقيضها يهزأ بالعرف وقد يتعمد الخروج عليه ولو في المجامع العامة . لحق بها ليلة بدار الأوبرا وهو في ملابسه الصباحية فكادت حين رآته إلى جانبها تجن من الغيظ وتتجاهل معرفتها به ومصاحبيتها إياه ، وجعلت تنظر إليه نظرات فيها من الاستغراب والاستهوال والإكبار لهذه الجرأة أو لهذا التهور بمقدار ما فيها من الأسف والحنق والاستنكار ومالت إليه تقول : ماذا يظن هؤلاء الناس ؟ إنهم لن يقولوا إلا أن هذه الفتاة مسكينة مع هذا الرجل ! قال متظاهراً بالاعتذار وقد علم أن المعايبة أنفع أساليب الاعتذار معها في هذه الحالة : لا عليك أيتها الفتاة المسكينة ، في المرة التالية سأحمل في يدي كسوة السهرة لأدفع عنك هذه المسبة . . . إلا أنهما - حين خرجا من الدار - غلب عليها حب التحدي على الرغم من رغبتها في التستر والمداراة ، فخرجت وهي آخذة بذراعه كأنما تغنيها هو أو تغنيها المتفرجين !

وتقرأ أوربا كما تعبد أزياءها ولكن ماذا تقرأ ؟ إن شئت فلا مانع من بيرون وشوبنهور ، على شريطة أن يوصيها بقراءتهما رجل